المبحث الثاني

الصفـات الواجب توافرهـا فـي المحـقـق

ولعل أهم تلك الصفات: إيمان المحقق برسالته والجدية والنشاط في العمل وقوة الملاحظة ودقتها وقوة الذاكرة والدقة في العمل والعدالة والحياد وكتمان أسرار التحقيق وإحترام حرية الدفاع والصبر والمثابرة والهدوءوالشجاعة والاعتماد على النفس والفراسة. مع ملاحظة أن هذه الصفات متداخلة فيما بينها. والحقيقة أن التشريعات الاجرائية المختلفة لم تنص على تلك الصفات، إنما هي خِصال إستخلصها علماء الفقه الجنائي في سبيل رسم إطار أخلاقي ومهني عام لعمل المحقق. وإن كان هنالك تشريع في مصر خاص بعمل المحققين سُمي بـ «تعليمات النيابة العامة» قد تطرق إلى هذه الصفات ولكن بشكل مفصل ومختلف.

أولاً: إيمان المحقق برسالته

لعل الشرط الأساس في نجاح المحقق بعمله وإداء رسالته، هو أن يكون مؤمناً بتلك الرسالة، بمعنى أن يكون الإعتقاد الذي يمتلأ به ضميره هو إن الوصول إلى الحقيقة إعمال واقعي للعدالة، وليس هذا الأمر بالهين فالعدالة وتحقيق أمن كل فرد على حدة من صفات الله سبحانه وتعالى، لذا فان آمن المحقق برسالته فانه لن يخل بواجباتها مهما لاقى في سبيلها من صعوبات. وكلما كانت القضايا التي ترفع إلى المحاكم وتصدر فيها حكماً بالبراءة قليلة، كلما دَل ذلك على حسن تصرف

المحقق، كما أن على المحقق في سبيل تحقيق رسالته أن يجعل من نفسه قاضياً، بل هو فعلاً قاض للتحقيق لاينشد إلا الحقيقة[١].

ثانياً: الجدية والنشاط في العمل

يجب على المحقق أن يكون نشطاً جدياً في عمله، لذا يجدر به الانتقال إلى محل الحادث على الفور مع إتخاذ كافة الاجراءات والوسائل التي تمكنه من المحافظة على آثار الجريمة ومنع أي شخص من الإقتراب من جسم الجريمة أو آثارها كالبصمات وآثار الاقدام والآلات المستعملة في الجريمة ولاسيما تلك الملوثة بالدماء تمهيداً لارسالها إلى الفحص الكيميائي. كما توجب عليه تلك الجدية وذلك النشاط أن لايدع أحداً يفلت ممن قُبض عليه في مكان الجريمة إلا بعد التأكد من إنتفاء صلته بها[٢]. وبخلاف ذلك، فلك أن تتصور حالة فيما لو تقاعس المحقق بعد إخباره بالجريمة بتكاسله عن الانتقال لمعاينة محل الحادث أو الذهاب إلى المستشفى لتدوين إفادة المصاب أو شهادته. . . !. أن هذه التكاسل والتماهل سيؤدي وبلاشك إلى ضياع معالم الجريمة وتسهيل هروب

---

(١) ينظر: د. حسن صادق المرصفاوي، المرصفاوي في المحقق الجنائي، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٣٢-٣٣. وبالمعنى نفسه، ينظر: عبد الحميد المنشاوي، مرجع سابق، ص ٤٠. جدير بالذكر أن المادة (١٤٧) من تعليمات النيابة العامة في مصر قد قضت بانه (المحقق يجب أن يكون من مؤمناً برسالته في إستظهار الحقيقة وإتخاذ كل الوسائل الكاشفة عنها وان يعتقد أن الوصول إلى الحقيقة وتحقيق العدالة هما هدفه وغايته المنشودة).

(٢) ينظر: علي السماك، الموسوعة الجنائية في القضاء الجنائي العراقي، الجزء الأول، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٩٠، ص ٥٣.

الجاني وربما إتلافه لمادة الجريمة أو ادواتها. فمن الواضح أن الجناة يكونون حذرين وحريصين على إتلاف معالم الجريمة وطمس آثارها وإعدام مادتها بحيث يحاولون قطع السبيل المؤدي إلى الكشف عن جرائمهم.

ثالثاً: قوة الملاحظة ودقتها

يقصد بقوة الملاحظة ودقتها، تلك المعرفة السريعة والاكيدة لتفاصيل الاشياء التي تقع تحت الحواس، أو هي القدرة على إستيعاب الامور مهما كانت دقيقة ومهما بدت تافهة لاول مرة[١]. وهو أمر يستلزم من المحقق أن يكون يقظا لكل ما يراه ويدور حوله ولا يدع أمراً يمر به دون التوقف عنده بالتأمل والتفكير والتمحيص والتحليل، وذلك في كل خطوة من خطوات التحقيق، فكثيرٌ من المظاهر والاشياء التي تبدو تافهة، هي مفتاح الوصول إلى الجريمة وحقيقة فاعلها، وقوة الملاحظة هذه صفة تتفاوت بين شخص وآخر تبعاً لإختلاف تكوينهم الشخصي والتجارب التي مروا بها في حياتهم الماضية، كما إنها تتفاوت تبعا لميولهم ورغباتهم ومهنهم[٢].

رابعاً: قوة الذاكرة

يُقصد بقوة الذاكرة، القدرة على حفظ المعلومات والمشاهدات

---

(١) ينظر: د. ابراهيم حامد طنطاوي، مرجع سابق، ص ٥٨. د. سلطان الشاوي، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) للمزيد ينظر: محمد انور عاشور، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٣٢.

والاختبارات التي تقع تحت احد حواس المحقق وإستعادتها عند الحاجة، وتبدو اهمية قوة الذاكرة بالنسبة للمحقق في انه عن طريقها يتمكن من الربط بين الحوادث الاجرامية الواقعة وعن طريقها يمكن أيضاً الكشف عن ذلك التباين أو التطابق الحاصل في أقوال الشهود[١] حول حادثة أو نقطة معينة، مما يساعد على معرفة صدق الشهادة أو كذبها أو التلاعب بجزء منها. والمحقق الذي يتمتع بذاكرة جيدة يتمكن مثلاً من تذكر اوصاف الجناة المدانين والهاربين من قبضة العدالة، فيشخصهم فور رؤيتهم، كما تبدو فائدة قوة الذاكرة عند المحقق في إمكانية الربط بين الاحداث المختلفة لاسيما حينما قد يكون المتهم واحداً، فالتحقيق مع متهم معين قد يعيد إلى الذاكرة واقعة أخرى - لم يُعرف المتهم فيها - ارتكبت بنفس الطريقة، قد يؤدي إلى إكتشاف مرتكبها[٢].

خامساً: الدقة في العمل

يقصد بالدقة في التحقيق تثبت المحقق من المعلومات التي يقف عليها وتدقيقها وتمحيصها وعدم التسليم بكل ما يسمعه من المتهم أو الشاهد بل وحتى المجنى عليه. إذ أن العديد من المعلومات التي تصل إلى علم المحقق قد تبدو غير دقيقة أو غير مطابقة للحقيقة متى دقق فيها وتمحص في تفاصيلها. فمثلاً إذا إدعى أحدهم أن محل عمله قد تعرض إلى السرقة أو الحريق فعلى المحقق الوقوف طويلاً أمام هذا الإدعاء الذي قد يكون

---

(١) ينظر: د. عبد الستار الجميلي ومحمد عزيز، التحقيق الجنائي الحديث - بين النظريات والتطبيق -، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٩.
(٢) ينظر: د. حسن صادق المرصفاوي، مرجع سابق، ص ٣٩.

مُفتعلاً للحصول على مبلغ التأمين، كما عليه أن يدقق في قول الشاهد الذي يدعي انه شاهد المتهم في ضوء القمر أو على بعد خمسين متراً فيظهر - بعد إختباره - إن درجة نظره لا تعينه على الرؤية في تلك الظروف أو يدعي الشاهد أن الوقت الذي استغرقته الجريمة أو ذلك الذي مضى عليها يُقدر بربع ساعة وبعد إختباره يتضح عدم دقته في تقدير الوقت.

سادساً: العدالة والحياد

يجب أن يكون المحقق عادلا حياديا، ذلك أن «الأصل في المتهم البراءة» كما أن «الشك يفسر في صالح المتهم» فلا يكون المتهم مداناً إلا إذا كانت هنالك ادلة على إجرامه، لذا كان من المهم ترك الأمر إلى الادلة التي تكشف هي عن المجرم وليس تصورات المحقق اوخيالاته أو عواطفه، لهذا فليس من العدالة وحسن سير التحقيق أن يعتقد المحقق أن شخصا معيناً هو مرتكب الجريمة فيكون همه جمع الادلة التي تدينه. بل أن العدالة والحيادية تقضي أن يكشف المحقق عن براءة البريء مثلما يكشف عن إدانة المجرم، وتحقيقاً لتلك العدالة والحيادية كان على المحقق أن يكون بعيداً عن تأثير المحيطين به ممن قد يكون لهم دور في إثبات التهمة ونفيها عن المتهم، كما عليه التحلي بذلك الحياد أيضاً فيما لو كان ألجاني أو المجنى عليه يمت إليه بنوع من الصلة، إيجابيةً كانت ام سلبية.

سابعاً: كتمان أسرار التحقيق

المحقق في عمله شأنه شأن سائر الموظفين والمكلفين بخدمة عامة ممن تقع عليهم الواجبات الوظيفية وأهمها كتمان أسرار المهنة، فالمُحقق

يطلع خلال عمله التحقيقي على كم من المعلومات المتعلقة بالجريمة والتي ليس من المصلحة في شيء أن يطلع عليها أحدهم حتى اقرب الناس إليه. فضلاً عن خصوصية مهنة التحقيق التي تتطلب بطبيعتها كتمان ما يطلع عليه المحقق من معلومات، بل وربما اوجبت عليه الضرورات في بعض الاحيان أن يتظاهر بعدم معرفتها. ذلك إن تسرب معلومات التحقيق قد يتسبب في إفشال التحقيق، فلك أن تتصور أن المحقق قد حصر الشبهة في جريمة ما بأحدهم أو بعضهم ثم تسربت أنباء تلك الشكوك إلى المعنيين، فهل تتوقع بقاءهم ام فرارهم؟ وكذا الأمر في حالة توصل المحقق إلى خيوط عن المكان الذي يحتفظ فيه السراق بالمسروقات، ثم وصلت إلى الجناة أنباء عن ذلك، فهل تتصور إبقاءهم على المسروقات في ذلك المكان ام تهريبها ونقلها إلى مكان آخر؟ وهل تتوقع أن يأتي أحدهم ويدلي بمعلومات هامة وخطيرة حول الجريمة المرتكبة إذا عرف أو توقع كشف هويته للجناة؟. لهذا باتت العديد من الجهات التحقيقية اليوم تُعلن وبشتى الوسائل عن أن «هوية المخبر أو الشاهد محفوظة»، لا سيما إذا كان المخبر أو الشاهد تربطه بالجاني أو الجناة علاقة وطيدة أو كان يخشى إنتقامه أو إنتقام ذويه.

ثامناً: إحترام حرية الدفاع

لعل من المهم جداً للمحقق أن يكون مُحترِما ومقدراً لحقوق الدفاع وحريته، لهذا يتجلى هذا الاحترام في مظاهر متعددة منها: سماع أقوال المتهم بصدر واسع، كونه أمرٌ ضروري لان المتهم قد يقدم في دفاعه من الأدلة ما يدرأ التهمة عنه أو يعزز براءته، وهو ما يتطلب من المحقق سعة

الصدر تلك والتي تُشعِر المتهم بالطمأنينة، ومن اللازم أيضاً سماع شهود النفي كما هو الأمر مع شهود الاثبات، لان في التغاضي عنهم إهمال لجانب كبير مكمل للحقيقة، بل قد يكون الحقيقة ذاتها، فعلى المحقق أن يرسل في طلبهم ولا يكتفي بإعلام وتنبيه المتهم على حضورهم في الجلسات، وأخيراً فمن أهم مظاهر إحترام حرية الدفاع تأكد المحقق من أن اقوال المتهم قد صدرت عنه بارادته والتأكد من عدم خضوعه لأي ضرب من ضروب القسوة والتعذيب «مادياً كان ام أدبياً»، لا سيما في ظل غياب العديد من الادلة المادية على الجريمة مما قد يدفع ببعض المحققين إلى الحصول على «دليل» الاعتراف بشتى السبل[١].

تاسعاً: الصبر والمثابرة

بما أن مهمة المحقق شاقة ومتعبة، لذا كان من المهم للمحقق أن يكون مثابراً وصبوراً، ذلك أن كثير من إجراءات التحقيق وجمع الادلة تتطلب وقتا طويلاً وصدراً واسعاً، لذا فان الملل والضجر يعد من ابرز اعداء المحقق كونه يقطع الامل في الوصول إلى الحقيقة ولاسيما في المراحل الأولى من التحقيق[٢].

---

(١) ينظر في الصفات المتقدمة: د. عمار عباس الحسيني، مرجع سابق، ص٥٥ - ٦٤.

(٢) ينظر: د. عبد الستار الجميلي ومحمد عزيز، مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٠. د. حسن بشيت خوين، ضمانات المتهم في الدعوى الجزائية، الطبعة الأولى، دار الثقافة، عمان، ١٩٩٨، ص ٦٦.

عاشراً: الهدوء

يعد التحقيق من المواقف غير العادية في حياة الفرد من حيث الرهبة والوضع في موضع الاتهام والشبهة وجهل المتهم في وضع يجهل ما سيكون عليه مصيره وموقفه مستقبلاً، وينطبق ذات الارباك في تلك المواقف على المجني عليه أو الشهود حيث يلاحظ المحقق إنفلات الاعصاب أو السكوت المطول أو التوتر الشديد أو العناد وغير ذلك من المواقف التي تجعل المحقق في وضع غير عادي وربما يُفقده التحكم في أعصابه، لهذا كان على المحقق أن يبدو هادئا متحلياً بالصبر غير متعجل في تصرّفاته، لايسأم إذا تلعثم الشاهد أو المتهم عند سؤاله[1]، كما عليه أن يبدو هاديء الاعصاب إذا طال التحقيق وجمع الادلة وكثر الشهود وتشعبت احداث الجريمة واماكنها مادام المحقق ينشد الحقيقة.

حادي عاشر: الشجاعة والإعتماد على النفس

تعرف الشجاعة بانها حالة نفسية تجعل من الشخص قادرا على الوقوف بوجه المخاطر دون خوف أو وجل، وتتجلى شجاعة المحقق في صورتيها المادية والمعنوية «الادبية»، ويقصد بالاولى القيام بالمهام الخطيرة التي قد يفرضها عليه واجبه كالذهاب إلى الاماكن البعيدة أو

---

(١) لهذا اوجبت المادة (١٥٢) من تعليمات النيابة العامة في مصر على انه على عضو النيابة العامة «المحقق» لدى مباشرته التحقيق أن يلتزم بضبط النفس ولا يستسلم للغضب أو الغيظ أو لسيطرة الميول والغرائز وان يتحلى بالصبر والمثابرة في الكشف عما يدين أو يفحص من أمور التحقيق.

المنعزلة أو غير المستقرة امنياً، أو الانتقال في اوقات مختلفة وربما خطرة.

اما الاعتماد على النفس فمعناه ركون المحقق عند القيام باعماله على جهوده الشخصية دون الإلتجاء إلى احد غيره في إتمام تلك التحقيقات المناطة به، ذلك أن التحقيق قد يفقد ترابطه وتماسكه متى تعدد فيه المحققون، دون أن يمنع ذلك من إعتماد المحقق على غيره من المحققين الثقاة أو إستعانته بأهل الخبرة والإختصاص[١].

ثاني عشر: الفراسة[٢]

يقصد بالفراسة، تلك المهارة التي يمكن عن طريقها الإستدلال على أخلاق الناس وطبائعهم من خلال أشكالهم وملامحهم الجسمانية مما يسهل الحكم على تصرفاتهم أو التعرف على الامور الخفية من خلال العلامات الظاهرة، وبالتالي التسهيل على المحقق الجنائي تحديد إسلوب معاملة المتهم أو الشاهد، وقد اكد القرآن الكريم على «الفراسة» من خلال التحقق في سيماء المؤمنين وغير المؤمنين، ومنها قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى

---

(١) ينظر: د. سلطان الشاوي، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) اوردنا في ص ٧٠ - ٧٢ من كتابنا «التحقيق الجنائي والواسائل الحديثة في كشف الجريمة»، هذه الصفة «الفراسة» من بين العلوم التي يجب على المحقق الالمام بها، إنسجاماً مع ما ذهب إليه بعض الفقه الجنائي من إعتبار الفراسة علماً من العلوم الحديثة، ومع ذلك فنجد أن تناولها من ضمن الصفات التي يجب على المحقق الالمام بها أمرٌ ينسجم والمنطق والواقع.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

المنعزلة أو غير المستقرة امنياً، أو الانتقال في اوقات مختلفة وربما خطرة.

اما الاعتماد على النفس فمعناه ركون المحقق عند القيام باعماله على جهوده الشخصية دون الإلتجاء إلى احد غيره في إتمام تلك التحقيقات المناطة به، ذلك أن التحقيق قد يفقد ترابطه وتماسكه متى تعدد فيه المحققون، دون أن يمنع ذلك من إعتماد المحقق على غيره من المحققين الثقاة أو إستعانته بأهل الخبرة والإختصاص[١].

ثاني عشر: الفراسة[٢]

يقصد بالفراسة، تلك المهارة التي يمكن عن طريقها الإستدلال على أخلاق الناس وطبائعهم من خلال أشكالهم وملامحهم الجسمانية مما يسهل الحكم على تصرفاتهم أو التعرف على الامور الخفية من خلال العلامات الظاهرة، وبالتالي التسهيل على المحقق الجنائي تحديد إسلوب معاملة المتهم أو الشاهد، وقد اكد القرآن الكريم على «الفراسة» من خلال التحقق في سيماء المؤمنين وغير المؤمنين، ومنها قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى

---

(١) ينظر: د. سلطان الشاوي، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) اوردنا في ص ٧٠ - ٧٢ من كتابنا «التحقيق الجنائي والواسائل الحديثة في كشف الجريمة»، هذه الصفة «الفراسة» من بين العلوم التي يجب على المحقق الالمام بها، إنسجاماً مع ما ذهب إليه بعض الفقه الجنائي من إعتبار الفراسة علماً من العلوم الحديثة، ومع ذلك فنجد أن تناولها من ضمن الصفات التي يجب على المحقق الالمام بها أمرٌ ينسجم والمنطق والواقع.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.